وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج

كلّية الآداب واللّغات

شهـــادة مشاركـــة

تمنح هذه الشهادة للدكتور: **ناصر بركة**

نظير مشاركته في فعاليات الملتقى الدولي الأوّل حول "أعمال محمد البشير الإبراهيمي"

الموسوم بـ "المنجز الفكري والأدبي في آثار محمد البشير الإبراهيمي"

بمداخلة عنوانها: **الرؤى الإصلاحية عند محمد البشير الإبراهيمي؛ منطلقاتها ومآلاتها**

المنعقد يومي: 21.20 فيفري 2018

العميد الكلّية

رئيس الملتقى

أ. عبد الله بوصفية

الجلسة الموازية الثّانية (11:00 – 12:30)

رئيس الجلسة: د/أم السعد فوضيلي..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.عيسى مباركية	خصوصيات الخطاب الأدبي الإبراهيمي	برج بوعريريج
أ.تقية هاجر	التعدد اللغوي في رواية الثلاثة للإبراهيمي	سطيف2
د.خلف الله حنان	جماليات الخطاب الأدبي في كتابات الإبراهيمي	الجزائر
أ.منال بن حميميد	تيمة المرأة في كتابات الإبراهيمي	المسيلة
أ. تقار يوسف	الرّوابط الثّقافية بين الجزائر والقطرين العربي والإسلامي في كتابات البشير الإبراهيمي	الشلف
أ.نورة بن تهامي	التناص القرآني في الخطاب الإبراهيمي	البويرة
أ.نسيمة بوزمام	البعد الإصلاحي في الخطاب النثري الإبراهيمي	برج بوعريريج
د. جحيقة بسوف	أثر جمعية العلماء المسلمين في نفوس النشء	بجاية

مناقشـــة عامـــة

الجلسات الموازية (اليوم الثاني 2018/02/21)

الجلسة الموازية الثّالثة (9:00 – 10:30)

رئيسة الجلسة: د/ خليصة بلفوضيل..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. سماح بن خروف	آليات الإقناع في كتابات الإبراهيمي مقاربة تداولية	برج بوعريريج
د.حكيمة بوقرومة	خصوصيات فن المقال عند "الإبراهيمي"	المسيلة
د.عبدالله بن صفية	سؤال التربية عند محمد البشير الإبراهيمي	برج بوعريريج
أ. عبد المجيد قديدح	التشكيل البلاغي في أدب الإبراهيمي	برج بوعريريج
أ.نزيهة مختاري	التصوف عند محمد البشير الإبراهيمي	باتنة1
أ.عماد بوخاري	أثر المقام في الفهم و الإفهام: دراسة تداولية في مقالات سجع الكهّان للإبراهيمي	سوق أهراس
أ.عبدالحفيظ شريف	موقف الإبراهيمي من النُّخبة الجزائريّة ذات التّكوين الفرنسيّ والمزدوجة اللُّغة.	البويرة
أ. إكرام مخفي	حضور الثّورة الجزائرية في كتابات الإبراهيمي	مستغانم
أ. سهيلة بوساحة	الدين والإيديولوجيا في فكر الإبراهيمي	برج بوعريريج

مناقشـــة عامـــة

الجلسة الموازية الرّابعة (10:30 – 12:00)

رئيس الجلسة: د/ عبدالناصر مباركية..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.أم الفداء مالك	البعد الحضاري في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين– ابن باديس أنموذجا	سطيف2
أ.ليندة بن عباس	خصائص أسلوب الخطاب الأدبي الإبراهيمي	برج بوعريريج
أ.سعيدة جربوع	قصيدة "إلى علماء نجد" للإبراهيمي؛ دراسة إيقاعية	المسيلة
أ.هدى بليل	"الإنسان و الإنسانية" في فكر الإبراهيمي	برج بوعريريج
أ.سمية ماحي	وحدة الأمّة كمطلب سياسي حضاري في خطاب (ج ع م ج)– الفضيل الورتلاني أنموذجا	الجزائر1
أ.رضا رحموني	النهضة وشروطها في فكر الإبراهيمي	المسيلة
أ. عادل رماش	أثر الإحالة النصية في تماسك المقالات الإبراهيمية	سطيف2

مناقشـــة عامـــة

الجلسة الموازية الخامسة (10:30 – 12:00)

رئيسة الجلسة: د/ مراد قفي ..... جامعة المسيلة

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ. الحسين عزة	دور (ج ع م ج) في نشر التعليم العربي الحر	سطيف2
أ.أسماء بن قري	إسهامات الفكر الإبراهيمي في النهضة الإصلاحية الجزائرية الحديثة	برج بوعريريج
أ.فايزة دبيش	"مركزية الإنسان في خطاب الإبراهيمي والنشاط الإصلاحي لـ "ج ع م ج"	البويرة
أ.توفيق لعزرقي	الاتساق اللغوي والنسق الثقافي في خطاب البشير الإبراهيمي	الجزائر 2
أ. أمال عياد	نسق الخطاب الديني في كتابات الإبراهيمي	الزيتونة/ تونس
أ. فايزة بن كروش	البنية الحجاجية في الخطابة الإبراهيمية	المسيلة
أ.وليد خضور	المثقف وسقف الأمة في كتابات الإبراهيمي	بسكرة
أ. لويزة حوفاف	المنهج التربوي التعليمي في الفكر الإبراهيمي	المسيلة

الجلسة الختامية (12:00)

* قراءة البيان الختامي .. رئيس اللجنة العلمية .. د/ بوبكر الصديق صابري

*الإعلان عن اختتام الملتقى .. مدير الجامعة .. أ.د/ عبدالكريم بن يعيش

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج

كلّية الآداب واللّغات

UNIVERSITE MOHAMED EL BACHIR EL IBRAHIMI
BORDJ BOU ARRERIDJ

الملتقى الدولي الأوّل حول أعمال محمد البشير الإبراهيمي

بعنوان:

المنجز الفكري والأدبي في آثار محمد البشير الإبراهيمي

21 /20 فيفري 2018

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
الملتقى الدولي الأول حول أعمال محمد البشير الإبراهيمي
المنجز الفكري والأدبي في آثار الإبراهيمي
2018 /02/ 21-20
كلية الآداب واللغات

اليوم الأوّل: الثلاثاء 20/ 02/ 2018

الفترة الصباحية: (08:30 – 09:00)

الجلسة الافتتاحية

- آيات من الذكر الحكيم
- النشيد الوطني
- كلمة رئيس اللجنة العلمية ..... د/ بوبكر الصديق صابري
- كلمة رئيس الملتقى ..... د/ عبد الله بن صفية
- كلمة عميد الكلّية ..... أ.د/ حسين رحيم
- افتتاحية السيّد مدير الجامعة ..... أ.د/ عبد الكريم بن يعيش

الجلسة العلمية الافتتاحية (09:15 – 09:30)

الأستاذ المحاضر: د/ مبروك دريدي ..... جامعة سطيف2

التفكير بالحجّة عند الإبراهيمي

جدارة الإنسان الجزائري ونقض مبرّرات المعتدي

الجلسة العلمية الأولى (9:30 – 11:00)

رئيس الجلسة: د/ بوبكر الصديق صابري.. جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. علاء عبد الرزاق	الهوية العربية والإسلامية في طروحات العلامة محمد البشير الإبراهيمي	بغداد (العراق)
أ.د. محمد زرمان	الانفتاح على الآخر ومركزيته في التجديد الحضاري– مقاربة في فكر الإبراهيمي	باتنة1
د.مختار كحيلي	تجليات الوعي الحضاري في الفكر الإصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي	تونس
د.محمد بن علي	فقه الأزمة في خطاب البشير الإبراهيمي	غليزان
د.زبيدة مسالي	ومضات حضارية في مختارات مما قاله الشيخان الإبراهيمي وابن باديس	برج بوعريريج
مناقشة عامة		

اليوم الثاني: الأربعاء 21/ 02/ 2018

الجلسة العلمية الثالثة (9:00 – 10:30)

رئيس الجلسة: د/ عادل بوديار ..... جامعة تبسة

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د.محمد مدور	التأويل التداولي لخطاب الشيخ الإبراهيمي	غرداية
د. ناصر بركة	الرؤى الإصلاحية عند محمد البشير الإبراهيمي – منطلقاتها ومآلاتها	المسيلة
د. زينة قرفة	تجليات الكتابة الفنية وسر الإبداع في كتابات الإبرهيمي	برج بوعريريج
د.عائلة خذري	فيض الدلالة وجمالية المعنى في نص الإبراهيمي	خنشلة
د.كاملة مولاي	قراءة سوسيونصية في نصوص"الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" للإبراهيمي.	ميلة
مناقشة عامة		

الجلسة العلمية الثانية (11:00 – 12:30)

رئيس الجلسة: د/ زهرالدين رحماني ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. مصطفى ولد يوسف	المقالة الإبراهيمية بين المنجز البلاغي وامتداد المعنى	البويرة
أ.د. لخضر روبحي	خصوصيات لغة الخطاب الأدبي عند محمد البشير الإبراهيمي	المسيلة
د.فاطمة صغير	عناصر الفرادة الأدبيّة في الخطاب الأدبيّ الإبراهيميّ	مغنية (تلمسان)
د. موفق عبد السميع	الخطاب الإبراهيمي بين الإبداع والإقناع مقاربة نسقية	برج بوعريريج
د.محاوي كريمة	تجليات الخطاب النقدي في آثار محمد البشير الإبراهيمي.	بشار
مناقشة عامة		

الجلسة العلمية الرّابعة (10:30 – 12:00)

رئيس الجلسة: أ.د/ علي خذري ..... جامعة باتنة1

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. صالح قسيس	نحو مقاربة جمالية للمنجز الأدبيّ في آثار الإبراهيمي – مسرحيّة الثلاثة أنموذجا.	برج بوعريريج
د.سعاد ترشاق	الأبعاد الحضارية لخطابات الطيب العقبي	سطيف2
د.طارق ثابت	آلية الخطاب الأدبي والإعلامي لدى (ج ع م ج)؛ محمد الهادي السنوسي أنموذجا	باتنة1
د.نوار عبيدي	اللغة العربية في خطابات (ج ع م ج)	الطارف
أ.د.نهاية محمد صالح	البعد الحضاري في الخطاب التربوي عند الإمام عبدالحميد بن باديس	الموصل (العراق)
مناقشة عامة		

الجلسات الموازية (اليوم الأول 2018/02/20)

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
الملتقى الدولي الأول حول
أعمال محمد البشير الإبراهيمي
المنجز الفكري والأدبي في آثار الإبراهيمي
20-21/ 02/ 2018
كلية الآداب واللغات

الجلسة الموازية الأولى (9:30 – 11:00)

رئيس الجلسة: د/ حفيظة بن قانة ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.يونس عبو	الخصائص الفنية للمقالة عند الإبراهيمي	برج بوعريريج
أ.مديحة ب الشريف	الجامعة الإسلامية في آراء الإبراهيمي	البويرة
أ.المسعود قاسم	النزعة التحررية في كتابات الإبراهيمي	ورقلة
أ.خولة بوعزيز	بواعث الهوية الجزائرية من الاقتلاع والتغييب إلى الحضور والإمكان– الإبراهيمي أنموذجا	الجزائر 2
أ.عادل بن تونسي	المشروع التربوي التعليمي في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي من خلال كتاباته.	الزيتونة تونس
أ.نبيلة أعدور	بلاغة خطاب اللاإقناع في كتابات محمد البشير الإبراهيمي – مقاربة حجاجية	برج بوعريريج
أ.عمر بن صغير	أحمد شوقي في ضيافة البشير الإبراهيمي	الجزائر2
أ.محمد حكيمي	أنساق المقاومة الثقافية الأدبية في خطاب محمد البشير الإبراهيمي	الجلفة
مناقشة عامة		

عنوان المداخلة:

الرؤى الإصلاحية عند محمد البشير الإبراهيمي- منطلقاتها ومآلاتها

د/ ناصر بركة أستاذ محاضر (أ)

جامعة المسيلة

الملخص:

تتأسس الرِؤى الإصلاحية عند الإبراهيمي على منطلقات جوهرية لها صلة وثقى بالتحولات الواقعية المواكبة لحركتها وبخاصة وأنها مرتبطة بفترة استعمارية لها نسقها الخاص بمشاريعه الهادفة إلى القضاء على قيّم المجتمع وثقافته، فكان هذا المعطى داعٍ من دواعي البحث عن السبل الكفيلة بمواجهة هذا النسق وكشف خططه.

ولهذا اتخذ الصراع شكلا صداميا لا ينفصم في أبعاده عن متطلبات المرحلة في شقيها الإصلاحي والنضالي؛ إذ يتبين من خلال التدقيق في طبيعة النهج الفكري الإبراهيمي إمكانية تصنيفه من حيث فاعليته في خانة الأنساق الصغرى ذات الصلة بنسق أكبر ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومواقفها من الواقع ومشكلاته.

هكذا يتطلب فهم الرؤى الإصلاحية عند الإبراهيمي استيعاب مستوياتها التأثيرية من جهة، وإدراك امتداداتها الزمنية والمكانية من جهة أخرى، وهو ما سيسمح لغاياتها السامية أن تتعدى، ضمن سيرورتها التاريخية، حدودها الضيقة المنتمية إليها محليا.

توطئة:

يدل النسق (Système) في سياقاته اللغوية على معاني الانتظام والترتيب الدال على التكامل البنيوي والوظيفي*؛ فالنسق مفهوما "نظام يتكون من عناصر لسانية تنطوي من جهة على استقلال ذاتي، ومن جهة أخرى تشكل كلا موحدا؛ أي إنها في علاقة تجاور وانسجام وتماسك لكي تعطي الدلالة المقصودة"[1].

ويتكون النسق من أجزاء ذات علاقات أو ذات تعاملات فيمل بينها، لذا فإن دراسة أيّ جزء من أجزاء النسق لا يمكن أن يتم بشكل مستقل عن الأجزاء الأخرى[2]؛ وهذا ما يؤكد انسجامها وتفاعلها المحكوم بقانون خاص يشير إلى طبيعة العناصر المكونة له والتي تنأى به عن غيره من الأنساق الأخرى.

ولما كان تفاعل العناصر يحيل في تركيبته الجزئية على النظم الداخلية المحددة لخصوصيته ومعالم تفرده فإنه بالمقابل يلفي الدارس شكلا خارجيا للنسق "يتألف من الأنشطة والمشاعر والتفاعلات الثقافية والفكرية، يوجه نحو البيئة الخارجية، فالنسق الخارجي للأثر الأدبي هو بنية الوسط الذي ظهر فيه، والذي يتلقى منه المؤشرات المباشرة وغير المباشرة وتظهر في طريقة تصوير النص للعالم الخارجي"[3]، بشكل متفاعل يعكس في وجه من أوجهه صفة انتظام العلاقات المتحكمة في هذا النسق.

وللنسق معنيان عند (لالاند) أولهما متعلق بالتبادل بعضها مع بعض لتشكل كلاّ عضويا ووحدة نسقية تجعل عدة حركات تصب في هدف واحد، وثانيهما يمثل مجموعة أفكار علمية أو فلسفية متراصة منطقيا، لكن من حيث النظر إلى تماسكها بدلا من النظر إلى حقيقتها[4]؛ فهذا (الكل) إنما يستمد حضوره من مجمل علاقاته بالأنساق الأخرى، فإذا حدث خلاف ذلك كان مآله الانكفاء على نفسه لا وقْـعَ له ولا أثر، لأنه سيفقد فاعليته بمجرد مخالفة مكوناته للأنساق الأخرى التي يتشارك وإيّاها في الانتماء والمسارات التطورية؛ إذ من الطبيعي أن يسعى كل نسق لفرض فكرة أو تصور على اختلاف مراميها وتعدد غاياتها فيكون حينئذ بديلا أو مكملا للأنساق الصغرى أو الكبرى وهذا بحسب طبيعة العلاقة ونوعية العناصر المتفاعلة..

وحينما يتعلق الأمر بالنسق الإصلاحي فإنه تتأسس إجراءً على البحث في طبيعة مرجعياته وغاياته المتأسسة على فاعلية حضوره الذي يفترض انتظام عناصره المكونة وقابلية محاورة واقعها، بما تملكه من إمكانية تموقعها واقتراح مقولاتها ومفاهيمها ضمن امتداداتها الزمنية والمكانية وما تعكسه من قدرة على التجاوز والتأثير، لذلك كان اضطراب النسق مؤشرا على عدم فاعليته وانكفائه على نفسه، وهذه أسباب قد تحدّ من امتداداته التي يُفترض ألا تتوقف عند محطة ظهور معينة؛ لأن النسق، مثلما يرى عبد الله الغذامي، يتحدد عبر "وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر"[5].

هكذا يأتي ارتباط النسق الإصلاحي بمرجعياته ليؤكد أصالته وارتباطه بأدوات معرفية تمثل مواقف الإبراهيمي ورؤاه التي تنأى بفاعليتها عن لحظة ميلادها الأول؛ ساعية لشقّ دروب السيرورة التاريخية، بحثا عن امتدادات مكانية وزمانية، وهو تحول من شأنه أن يتخذ مسارات تتعدى

بمعانيها السامية ومثلها العليا حدودها الضيقة المنتمية إليها، فالنسق إذًا "يتحقق بوجود ثابت ينغرس في وجدان المجتمع ويتغلغل داخل ذاكرته، ولم يلبث أن يسيطر عليها لأنه ينبني من تراكم أثَّر في العقل الجماعي ثم الانتشار وهنا يمتلك القدرة على التحكم في ردود الأفعال ومن ثمّ السيطرة والهيمنة على الأفراد"[6]، وعليه فهو محكوم بمقصدية المرسل أو المنتج فردا أو جماعة محولة إيّاه إلى مفاهيم تتجاوز الموجود إلى الماهية والمعلن إلى الخفي، ولا يتشكل هذا البعد الاصطلاحي إلا بتأسيس الرؤيا على قراءة المعارف السابقة، بما يضمن وعيها وعيا سليما خاضعا للنقد والتحليل والمراجعة.

دور النسق الفكري في تكوين الرؤى الإصلاحية عند الإبراهيمي

إنّ الكشف عن ماهية هذه الرؤى ومستوياتها التأثيرية معناه قراءة سمات المتغير الحضاري المتشكل بعد الإبراهيمي والمختلف ذي الطابع المرجعي المتعدد، الذي آل إلى معرفة اضطربت فيها الأصول فخضعت للحداثي مشوها إياها وملقيا بها في متاهات بعيدة، ودون هذا المستوى من القراءة يغدو نتاج الإبراهيمي كما معرفيا محكوما بزمان معين غالبا ما تعامل معه المتلقون بمجايلة آلت إلى حداثي نازع فكر الإبراهيمي محاولا تحويره أو تحويله[7].

هكذا يبقى متلقي هذا النتاج، على تنوعه، بحاجة إلى البحث عن الخفي المؤول فيه الذي يتم به نسج جملة من الصلات المعرفية في إطار الجدل الفكري القائم مع نص الإبراهيمي، فبذلك نحصل على الخيط الجامع أو البنية الكبرى التي يتم بها تصور النص المعرفي وتحديد غاياته ومدى فاعليته حاضرا ومستقبلا[8] ومن الضروري، في هذا الصدد، ألاّ يُـفصل هذا النص متنا وفكرةً عن واقعه وسيرورته في ظل اعتراف ضمني أو صريح بدوره في مجال حركية الأفكار وتحولات الراهن، ويبقى ذلك مرهون بإدراك منطلقاته ومآلاته بحثا عن آلياتٍ لتفعيله والتعريف بعناصره المكونة.

وعليه ألا تفترض هذه التوجهات الفكرية لدى محمد البشير الإبراهيمي نمطا معينا من أنماط التلقي يراعي طبيعة امتداداته زمانيا ومكانيا؟ وهل بالإمكان أن يتحقق هذا الامتداد دونما فاعلية تطبع حركة عناصره المكونة لنسقه؟

يبدو لزاما على الدارس للنسق الفكري عند الإبراهيمي أن يقرأ هذا النسق ضمن منظومته المجتمعية الخالصة، والتي كان من أهم مرجعياتها المرجعيتان الدينية واللغوية بوصفهما مكونا

مؤثرا في تكوين هذا النسق، إذ تحقق القراءة الواعية للنسق الفكري، كما هو في تجلياته الواقعية، إمكانية تقصي حدوده المنتمية إليها، وذلك يتكشف عن انفتاحه أو انغلاقه مكتفيا بمحدودية انتمائه الزماني والمكاني.

ولا شك في أن عملية القراءة تراعي مكونات هذا النسق وخصوصية تراكماته المعرفية وطبيعة تكوينه المنتظم، في ظل واقع اجتماعي سيطرت عليه أنساق أخرى أكثر فاعلية وحضورا على أن هذه الأنساق أقصت من منظومتها كل نسق دخيل لا يضاهيها موقفا وتوجها وسطوة، لذا يأتي صوغ مكونات النسق الفكري ليدلل على خصوصياته وفرادته بما هو في المحصلة منتج ذاتي خالص، بيد أن ذلك لا يعني استقلاليته، لأن ظهوره لا يبدو منفصلا عن نسق أكبر يمثله النسق الفكري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ فالحديث عن هوية هذا النسق في تحولاته الوظيفية يتخذ في شكل من أشكاله وصلا لحاضر الذات التي أنتجته بماضيها ومستقبلها في الآن نفسه محاولا بفاعليته الوصول إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه.

إنّ ما يميز النسق الفكري عند البشير الإبراهيمي هو ارتباطه بظروف استعمارية قاهرة بوصفها نسقا مضادا، حاول بما امتلكه من إمكانات سلطوية تقوض كل فكر يعارضه وهو ما يمكن نعته بصراع الأنساق، واللافت في سياق الحديث عن أشكال هذا الصراع أنه لم يأخذ في أبعاده الواقعية تلك الصورة النمطية القائمة على الفعل وردة الفعل.

وليس خافيا أن ما عايشه الإبراهيمي من ظروف إبان الفترة الاستعمارية قد أملت عليه واجب الإسهام في إحداث التغيير بإدراك حالة المجتمع وموقفه منه فهو وإن انطلق تفكيره الإصلاحي من واقع له خصوصياته فإنه وجد نفسه بالمقابل في مواجهة نسق آخر معارض، يحمل مشروعه الخاص.

لذا أخذ صراع الأنساق باختلاف أنواعها في تلك الفترة شكلا صداميا قائما على المواجهة على الرغم من تباين موازين القوى بين النسق والنسق المضاد، وهو ما يظهر فيما خاطب به الإبراهيمي الجزائريين مع اندلاع الثورة التحريرية: "إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت"[9] هو صراع مواقف بين إرادتين متضادتين تمخض عنه مفاضلة بين خيارين وجوديين؛ خيار الذل والمهان أو خيار العزة والشرف.

ومن أشكال هذا الصدام ذاك الصراع الفكري الذي فرضته سياسات قمعية مارسها الساسة الفرنسيون ونفذتها الآلة العسكرية ضد كل ما يمت بصلة إلى التحرر والانعتاق، وهي ذاتها المبادئ التي ادعت فرنسا تغنيها بها زورا وبهتانا؛ فرد الإبراهيمي فاضحا للمتخفي في سياستها المقيتة قائلا: "إن فرنسا اثنتان؛ تلك التي ينمجد التاريخ بصحائفها البيضاء في العلم والعرفان ويتغنى بروائعها في الأدب والفن، ويتحدث عن وقائعها في تحرير نفسها من الاستعباد الروحي والعقلي والبدني ويشيد بأعلامها في السياسة والبيان، ونحن لم نر فرنسا الموصوفة بهذه الصفات ولم نعرفها، ولم نحس بها ولا شأن لنا معها إلا شأن البعيد الدار المختلف الأوطار عن الأوطار، أما فرنسا الثانية التي التقى تاريخها بتاريخنا من سنة 1830 إلى الآن فهي التي عرفناها فاتحة بالسيف حاكمة بالحيف"[10] وهو يهدف بهذا إلى كشف الوجه الخفي/ المظلم لفرنسا وسياساتها في ممارسة صنوف الاعتداء على القيم والمعتقدات لأجل القضاء على مقومات الشخصية والحدّ من مردودها العملي والحضاري.

فالاحتكام في تبني نسق فكري خاص يدل على ذاتية الرؤيا وعمق التصورات ينمّ على خصوصية المواقف إزاء قضايا الأمة ومشكلاتها التي كان لها حضورها في أطروحات الإبراهيمي الفكرية ليظل ملمح التجديد في منظومة النسق الفكري لديه ماثلا في استمرارية حضوره الواقعي وفي ارتحاله الزمني باحثا له عن دور حضاري وثقافي يمكنه الاضطلاع به في حل مشكلات الراهن ومواجهة تبعاته.

لقد غدا النسق الفكري تأسيسا على ما سبق مقترنا برؤيا إصلاحية ومرجعية دينية قوامها الدعوة إلى الإسلام الذي "إذا ذكر ذابت القيود وتلاشت الحدود واجتمعت الأقطار على رحبها في بيت، وإن أخوة الإسلام والعروبة لا تقوم على الأقوال وإن طالت وكثرت وإنما تقوم على الأعمال والحقائق ولو أوتينا رشدنا لأقمنا كلمتي المسلم العربي مقام هذا النسب المعروف إلى البلدان والقبائل فما هذا النسب إلا ثغر ومداخل لشيطان الوطنيات الضيقة التي ليست من ديننا ولا من ميراث سلفنا"[11]

هكذا فإنّ دور النسق الفكري الرسالي مثلما يتمظهر عند الإبراهيمي يقتضي النظر في طبيعة امتداده التاريخي إلى جانب أنساق أخرى لها القدرة على إثبات فاعليتها ضمن سياقاتها

المنتمية إليها، متبنية في نهجها أسلوب التغيير الذي يبدأ من الفرد نفسه بما يحمله من قيم وعادات جبل عليها حتى استحالت مكونا هاما من مكونات شخصيته، وملمحا من ملامح علاقته ببيئته.

ولما كان الامتداد والفاعلية صفتين أساسيتين تميزان النسق الفكري عند الإبراهيمي فإن هذا يستلزم حركة في الزمان وفي المكان كي يتحقق التغيير المرجو، وتلك مهمة، على تعقيدها، تواجه الواقع بحلولها ومواقفها وقد يحالفها النجاح تارة وتصيبها الخيبات تارات أخر، ومع ذلك ترى في مشروعها بديلا نهضويا سيجد له حضورا مستقبليا عندما يتبناه أفراد المجتمع ويحظى بالدعم المؤسساتي والجمعوي اللازم ماديا ومعنويا.

وهذا التغيير في اعتقاد الإبراهيمي مرتبط بإقامة الدين كما أمر الله أن يقام؛ بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق وأن اختلالها هو السبب المباشر لما يقع للأمة من بلايا وآفات يقول مفصلا: "اختلت العقائد ولابسها هذا الشوب من الخرافات والمعتقدات الباطلة فضعفت ثقتنا بالله ووثقنا بما لا يوثق به واختلت العبادات فخوت النفوس من تلك الآثار الجليلة التي هي سر العبادة والتي هي الباعث الأكبر على الكمال الروحي واختلت الأحكام، فانتهكت الحرمات واستبيحت المحرمات وتفككت روابط الأسرة الإسلامية وقطعت الأرحام وتعادى المسلمون وتباغضوا وتنكر الأخ لأخيه وضعف الوازع الديني الذي يهيئ النفوس للانطباع بطابع واحد، فأصبحت مستعدة للتكيف بما يقبح وما يحسن فخرجت الفضيلة الإنسانية من عقل المسلم ومن نفسه [...] ثم جاء الاحتكاك بالأجانب عن هذا الدين ومعهم عاداتهم وأخلاقهم، فوجدت السبيل ممهدا ووجدت نفوس المسلمين عورات بلا مدافع ولا محام فتمكنت منها وتمكنت لغيرها"[12].

فنهضة الأمة إذًا أكثر ارتباطا بفاعلية النسق الفكري بما هو أساس انطلاقتها وتقدمها مستهدفة بناء الفرد أخلاقيا وذهنيا ومعرفيا؛ فالإيمان بهذا الهدف والسعي لتحقيقه يتطلب أخذا بأسباب والتطور وعوامل النجاح وتلك شروط تؤكد أنّ النسق الفكري عند الإبراهيمي تعدّى بامتداده الظروف التي أنتجته محاولا بفاعليته فهم واقع الأمة ومقوماتها الفكرية والحضارية وإدراك ماضيها ومن ثمّ إصلاح وضعها المتأزم.

وعليه يبدو حريصا في كتاباته على تأكيد علاقته بأمته، يقول في توصيف هذه العلاقة: "قرأت هذه الأمة وفهمتها كما أقرأ الكتاب وأفهمه، وما هذا ببعيد ولا كثير على من خدم أمة ولابسها عشرات السنين معلما مدرسا واعظا خطيبا محاضرا"، إذ يبدو حريصا على هذا الشعب وما

عاناه من قهر وحرمان فيحذره في موضع آخر قائلا: "لك الله أيها الشعب المعذب، لقد هنت عليهم حين هنت على نفسك، غنهم ما ضربوك إلا بعد أن جربوك، وما جرفوك إلا بعد أن عرفوك، وما جنوا عليك واتهموك إلا بعد أن قرؤوك وفهموك، فلا تلمهم ونفسك فلم، وغير ما بنفسك وهلم"[13] مع التأكيد على وصل دعوته النهضوية بالمبادئ العقدية التي تلقاها ونشأ في أحضانها.

لذا يعتقد الإبراهيمي في استقرائه للتاريخ وفي سياق التأسيس لمرجعيته الفكرية أن الدين الإسلامي استطاع بملمحه التأثيري/ الإصلاحي "نقل الأمم التي دانت به من حال إلى حال نقلها من الفوضى إلى النظام ومن التنابذ إلى التآخي ومن الخوف إلى الأمن ومن الاضطراب إلى الاستقرار ومن نزعات نفسية متباينة إلى نزعة واحدة أقرها فيهم ثم أقرها في الأرض بهم ونقل الأمم المتبدية إلى حال وسط من الحضارة المتأنية المقتصدة ونقل الأمم المتحضرة إلى حال من الحضارة العقلية تأخذ بالحجة وتمنع من التضخم والتهافت ونقل الأمم المؤلهة للملوك والكبراء إلى حال من عرفان القدر وفهم الكرامة جعلتهم هم الملوك"[14]، وما ذلك إلا بدافع من الدين بما هو مقوم من مقومات التطور المصطبغ بصبغة الإيمان ومقتضياته، إذ لا سبيل إلى التحضر، مثلما يعتقد الإبراهيمي، إلا في كنف التوحيد وإعلاء راية الإسلام.

مقومات الرؤيا الإصلاحية لدى الإبراهيمي

يهدف البحث عن الرؤى الإصلاحية إلى محاولة تحديد المقومات التي تأسس عليها النهج الإصلاحي في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وغالبا ما يكون ذلك بمعالجة أوضاع الأمة انطلاقا من تشخيص أحوال أفرادها وتحديد مشكلاتهم ومتطلبات واقعهم وما يفرضه من تحديات آنية ومستقبلية.

والحق أنّ هذه الرؤى لدى الإبراهيمي لم تنأى تنظيرا وممارسة عن منطلقاتها الجوهرية التي انصب اهتمامها في طروحاتها وفلسفتها على الفرد ومؤسسته المجتمعية المنتمي إليها، ومن بين تلك المقومات ما يأتي:

-**النظرة الفاحصة والتشخيص لمشكلات الأمة** في واقعها الثقافي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي؛ فالهمّ الذي دفع بالإبراهيمي إلى إعمال فكره في واقع أمته كان سببا مباشرا من أسباب إحساسه بتردي أوضاعها وفي هذا انتقال من ذاتية الرؤيا إلى إنسانية المواقف التي تتعدى بمضامينها حدود انتمائها القطري ممثلا في ثنائية الوطن/ الأمة إلى عوالم الإنسانية الفسيحة بما

هي فضاءات لا تحدها حدود إقليمية معينة بل إن الوجهة الإصلاحية كانت موجهة بالأساس تلقاء الفرد بإنسانيته لا بجنسيته، فلم يغب عن الإبراهيمي في تشكيل نسقه الفكري أن قيمة المجتمعات قوامها الفرد وما له من حقوق وما عليه من واجبات، وقد يقف أحيانا موقف الموجه للإنسانية في أعمق تجلياتها فيقول مخاطبا إياها: "ما كفاها من مصائب الدهر أن يكون في أبنائها قوي يستعبد ضعيفا وشريف يستخدم مشروفا ما كفاها أن تنقلب الحقائق على أبنائها المارقين العاقين فيركبون مطايا الخير والشر ويستعملون سلاح النفع والضر، ألا فليرحم الإنسانية من في قلبه رحمة"[15].

– العمل على **انتهاج أسلوب التغيير في التعامل مع الواقع بأبعادها المتشابكة** حيث يجعل من التغيير وسيلة من وسائله ومن الإصلاح طريقة من طرائقه؛ إذ هذه المهمة على مشقتها بحاجة على توفر القدرة على التأثير والإقناع وإدراك لمواطن الضعف والوهن الذي تعانيه الأمة، ويتأتى ذاك بإدراك طبيعة المرحلة وما تتطلبه من تجديد لطرائق التفكير، بحثا عن حلول لمشكلات الأمة وقضاياها المصيرية التي ما فتئت تلقي بظلالها على واقعها، وهو ما يغذي الرغبة في تحسس الأثر المرجو للنسق الفكري في امتداده وفاعليته بما أنه مرتبط في علائقه ببداية تشكل وتطور، فالحديث عن شخصية محمد البشير الإبراهيمي لا يلغي ابتداء دورها الريادي الماثل على الأقل فيما تركته من نتاج فكري تميز بمضامينه وأساليبه إذ تشكل بمكوناتها فضاءً معرفيا وظاهرة لافتة بتفاعلاتها وتحديها قولا وفعلا للسياسة الاستعمارية كقوله: "وإن الحكومات الرشيدة لتلتمس المعونة على تثقيف شعوبها من يستطيعه من جمعيات وأفراد، وتبذل لهم من التنشيط والتيسير ما يحقق ذلك، فما بال الحكومة الاستعمارية تعاكس وتضع العراقيل في طريق التثقيف مع أنها عاجزة –باعترافها– عن تعميمه ونشره؟ أليست تلك المعاكسات كلها لأن التعليم عربي إسلامي؟"[16] فالمسألة إذًا تعدت صور المواجهة المعروفة واتخذت لنفسها أساليب تقنيــنية لفرض نمط خاص من أنماط القضاء على الهوية العربية الإسلامية لغة ودينا.

ويستشف الدارس لتوجهات الإبراهيمي الإصلاحية نظرة استشرافية لدور الشباب الجزائري في النهوض بأمته فيقول: "أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها، متقد العزمات، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب وشهامة الفؤاد ونشاط الجوارح"[17]، فالحديث عن عنصر الشباب، بوصفه جزءا لا يتجزأ

من المنظومة المجتمعية، يؤكد أهمية دوره الرسالي المنوط به، فإذا استشعر هذا الدور واستطاع تجسيده في واقعه أمكنه أن يسهم في الدفع بعجلة التطور والتقدم في القطاعات النهضوية جميعها.

– **الإيمان بالفكرة وتأثيرها** في سيرورة التاريخ ومجرياته ودورها في تصور المشكلات التي رهنت حركية الفعل الحضاري في واقع الأمة، وما عرفته من تحولات كثيرة استدعت ضرورة تشخيص معطياتها ومتطلباتها، ولم تكن حركية الفكرة إلا دليلا على فاعلية امتدادها زمانا ومكانا لأنها في المحصلة نتاج نسق إصلاحي تأسس في إطار نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ يقول مقرًا بولائه وانتمائه: "ثم توالت الخطوب وتواترت الفتن وامتحن هذا الوطن بأبشع ما تمتحن به الأوطان [...] وبقيت هذه الفئة القليلة مزودة بإيمانها بالله متكثرة بأعمالها للعم، تلقى الجفاء والتنكر من القريب فتعتصم بالصبر وتلقى الكيد والتربص من الغريب فتتحصن بالثبات"[18] وما القدرة على توصيف ما عاناه هؤلاء العلماء من صنوف القهر والحرمان إبّان الفترة الاستعمارية إلا دليل واقعي على معايشة الإبراهيمي لآلام إخوانه الذين يشاركونه في الهدف والمقصد الإصلاحيين .

– **انتظام هذا النسق الفكري ضمن نسق أكبر هو نسق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، وتبنيه لأطروحاتها الإصلاحية الرامية إلى مواجهة المستعمر الفرنسي في سياق محاولاته فرض نسقه الخاص بالقضاء على اللغة العربية، مستهدفا معاهدها ورموزها لكي يتمكن من تقطيع أوصال الأمة وعزلها عن دينها وقرآنها[19]، فقد مثلت اللغة العربية الفصحى كيانا خطرا يهدد وجود النسق الاستعماري الكولنيالي؛ بمخططاته الهادفة إلى فرنسة المجتمع والقضاء على أصالته ومقومات شخصيته لذا عمل على محاربة لغته والقضاء عليها بالحدّ من انتشارها[20].

وفي موضع آخر نلفيه مبديا موقفه صراحة من وجوب تعلم هذه اللغة وكيفية النهوض بها إذ يقول: "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان؛ كلّ منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعنا، حقٌّ من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة، وحقٌّ أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية، وما نشهده من مطالبة اجتماعية بحريّة تعليمها وما نشاهده من قلق واضطراب في أوساط الأمة"[21] ويظهر أنّ اعتزازه باللغة العربية مردّه إلى

نزعته الدينية وتشبعه بالثقافة الإسلامية التي يبدو تأثيرها جليا فيما تبناه من طروحات فكرية أسست لرؤيته الإصلاحية ومهدّت السبيل لدفاعه المستميت عن هوية المجتمع لغويا وثقافيا.

- **الحرص على الاستفادة من موروث الأمة** الموصول بماضيها وعدم الاكتفاء بالوقوف إزاءه موقفا نمطيا قضى على معالمه المثلى وقيمه السامية، في وقت ظهرت فيه الخرافات والبدع فأثرت سلبا في نمط حياة الأفراد وطرق تفكيرهم ونظرتهم إلى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم؛ وهو ما أدى إلى جمود فكري وثقافي كان ضروريا إيجاد وسائل للقضاء عليه إصلاحا وتوجيها، ومن ذلك تبيينه سبل الاستفادة من مصادر التشريع وتاريخ الصحابة للقضاء على ما من شأنه أن يكون معيقا للتطور والرقي وهذا بالاعتماد في التذكير على "صرائح الآيات القرآنية وما صحّ من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأن يضربوا الأمثال بسيرته وسيرة أصحابه رضي الله عنهم وأن يجلو حدود القدوة في ذلك كله، وأن يقربوا المعاني من أذهان العامة، فإن ذلك وسيلة إلى تحبيب العلم إلى نفوسهم زيادة على تشريكهم في الخير وتقريبهم من الهداية "[22] ويمكن إجمال ما تضمنه القول في النقاط الآتية:

-العودة إلى القرآن الكريم وآياته الصريحة مكية ومدنية.

- الاعتماد على ما صحّ من الأحاديث النبوية الشريفة والاطلاع أيضا على منهاج النبوة السديد.

- استخلاص العبر من حياة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وصحابته.

وفي ضوء هذا التوجه ترتسم معالم الإصلاح وتتضح زوايا الرؤية لتتكشف صورة ماضي الأمة وقد تمثّله الإبراهيمي في حاضرها؛ الذي لا يعدو في نهاية المطاف أن يكون موصولا بكتابها المقدس وحياة نبيّــها بسنته القولية والفعلية والتقريرية، وذاك ما يدل في معنى من معانيه على التواصل الفعال دونما إقصاء لثوابت الدين الإسلامي الحنيف.

خلاصة: هكذا يمثل النسق الفكري منطلقا أساسيا من منطلقات الرؤيا الإصلاحية عند الإبراهيمي أمكن بفاعليته استثمار معطياته في راهن الأمة وواقعها المعيش بحثا عن حلول مثلى لمشكلاتها، ليبقى استمرار هذا النسق من عدمه مرهونا بقدرته على إثبات تميزه وحضوره وقابلية أن يكون منسجما مع بيئته التي احتضنته أو مع بيئات أخرى سيشد إليها الرحال ولو بعد حين، فارضا تصوراته ونهجه ممثلا فيما يطرحه من بدائل وأطروحات تتناسب مع متغيرات الراهن وتحولاته.

لذا لا يمكن فهم الرؤى الإصلاحية، بما لها من قدرات تأثيرية وامتدادات زمانية ومكانية، بمعزل عن دورها المنوط بها ضمن نطاقها المحلي الذي تنتمي إليه أو بامتداد تأثيرها إلى بيئات أخرى بما تقترحه من حلول لمشكلاتها وإصلاح لأوضاعها في ظل تحولات ثقافية ومعرفية ألقت بظلالها على الأمة وليس بمقدورها مواجهة هذه التحولات ما لم تسع لاحتواء الوضع وفرض نسقها الخاص.

إنّ تقبل تلك الرؤى يستمد حضوره انطلاقا من قدرتها على محاورة الأنساق الأخرى التي تخالفها في تصوراتها للقضايا المطروحة، لارتباطها بحاضرها زمنيا على الأقل، ومن شأن هذا المعطى الخاص أن يؤسس لأنساق فكرية تُستثمر قيمها الأخلاقية والإصلاحية والاجتماعية، في عصر تتصارع فيه أنساق متعددة تكون في أحايين كثيرة صناعة عصرية بامتياز.

والملاحظ ارتباط مآلات هذه الرؤى بأبعادها الحضارية التي تأسست في تكوينها الداخلي على منطلقات ثلاثة أولها آني لا يلغي في تكوينه لحظة ظهوره الأولى، وثانيها ماضوي بما هو ضروري للاقتداء والاهتداء، وثالثها مستقبلي بوصفه استمرارا لمواقف الإبراهيمي وتوجهاته الإصلاحية والتقويمية لحال الأمة وأوضاعها، وهذا على الرغم من مواجهته فكرا وثقافة لنسق مضاد/ معادي، ومع ذلك استطاع التكيّف مع مقتضيات الراهن وما شابه من تحولات وصراعات ميّزها حضور أنساق متعددة من حيث أهدافها وتوجهاتها ودرجات تأثيرها. فارضا بذلك حضوره الفاعل بوصفه مشروعا نهضويا له القدرة على اقتراح الحلول وإيجاد البدائل؛ وهو ما ينم عن فعالية هذا الرؤى وقدرتها على مجابهة ما سعى إليه المستعمر بمشاريعه الهادفة إلى القضاء على قيّم المجتمع وثقافته.

هوامش الدراسة:

---

* – يقال في العربية "النسق" من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عامّ في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ونسق الكلام عطفه بعضه على بعض، والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د/ ط، مجلد14، 2014، مادة: نسق، ص165. وينظر أيضا: الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، ج3، 2005، مادة: نسق، ص285.

[1] – سعيد الغانمي وآخرون: معرفة الآخر–مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د/ط، 1990، ص40

[2] – ينظر: إبراهيم مجدي عزيز: موسوعة التدريس، ج 01، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، 20014، ص26.

[3] – سمير سعيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط01، 2004، ص 110.

[4] – ينظر: أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج 03، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص1417

[5]– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي– قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط2، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، 2001، ص77.

[6]– عبد الفتاح أحمد يوسف: قراءة النص وسؤال الثقافة (استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى) عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009، ص79.

[7]– ينظر: عمر بوقرورة: بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي (قراءة في ظل البنية والمتغير)، د/ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص06.

[8]– ينظر: المرجع نفسه، ص06.

[9]– محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم د/ أحمد طالب الإبراهيمي، ج05، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص35

[10] – محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، د/ ط، برج الكيفان، الجزائر، 2007، ص 412

[11]– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج01/ ص104.

[12]– المصدر نفسه، ج1/ ص133–134

[13] – عيون البصائر، مصدر سابق، ص 423

[14]– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج04/ ص67

[15]– المصدر نفسه، ج5/ ص27

[16] – عيون البصائر، مصدر سابق، ص25

[17] – عيون البصائر، المصدر نفسه، ص586

[18] – عيون البصائر، المصدر نفسه، ص666

[19]– أحمد بن نعمان: اللغة العربية – أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2005، ص59

[20]– ينظر: بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيرروت، لبنان، 1986، ص49/ 50

[21] – عيون البصائر، مصدر سابق، ص24

[22] – عيون البصائر، المصدر نفسه، ص117